١٠
عُظماءُ
مِنَ الإسلامْ ..
عكرمة بن أبي جهل
خير أمة
مكتبة خير أمة الإسلامية

عكرمة بن أبي جهل

"مرحباً بالراكب المهاجر "

(**محمد** ﷺ)

كان عكرمة طويل القامة، مفتول العضلات، عريض المنكبين، حاد الملامح، حنطي البشرة، غزير الشعر، جهوري الصوت، شديد الشبه بأبيه عمرو بن هشام بن المغيرة، وكان لين العريكة، حليماً، حكيماً. كان من أكرم قريشا حسباً، وأكثرهم مالاً، وأعزهم نسباً.

وتزوج عكرمة من أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وله ثلاثة أخوة هم إبراهيم وكبير ونمر، نشأ عكرمة في مكة في جو مترف محفوف بالنعيم، في قصر المغيرة، وتعلم القراءة والكتابة على يد أفضل المعلمين في تهامة، تعلم الفروسية وأبدى نبوغًا ومهارة في المبارزة وفنون القتال، وتميز على جميع أقرانه ببراعته في رمي الرمح وتصويب السهام، كما عُرف بالشجاعة وخفة الحركة في الكرّ والفرّ.

كان عكرمة من أشد الناس عداوة للرسول ﷺ والإسلام فشارك عكرمة في بدر تحت قيادة أبا الحكم عمرو بن هشام، مع فرسان قريش لإنقاذ قوافل قريش التي يقودها أبو سفيان بن حرب بعد أن وصلت الاخبار إلى مكة ان المسلمين تعرضوا القوافل في بدر، و رأى عكرمة في المعركة عبد اللّه بن مسعود يرتقي على صدر ابيه و يقتله، فأنسحب عكرمة من المعركة مع غيره من فرسان قريش، و عاد عكرمة إلى مكة بعد أن ترك جثة سيد قريش في بدر فقد أعجزته الهزيمة عن أن يظفر بها ليدفنها في مكة وأرغمه الفرار على تركها للمسلمين فألقوها في القليب (بئر ألقيت فيها جثث المشركين من قتلى بدر) .

خرج عكرمة بن عمرو إلى معركة أحد وأخرج معه زوجته أم حكيم لتقف مع النسوة وراء الصفوف وتضرب معهن على الدفوف تحريضاً لقريش على القتال وتثبيتاً لفرسانها إذا حدثتهم أنفسهم بالفرار فكان على ميمنة فرسان قريش خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن عمرو.

في يوم مكة عفا النبي ﷺ عما سلف من قريش ولكن استثني منهم نفراً وسماهم وكان منهم عكرمة لذلك تسلل متخفيا من مكة.

ويروي عبد اللّه بن الزبير قصة إسلام عكرمة . كما ذكر الواقدي والسيوطي . فيقول:

".. قالت أم حكيم امرأة عكرمة بن أبي جهل: يا رسول الله، قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فأمنه، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (هو آمن)..

فخرجت أم حكيم في طلبه ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فجعلت تمنيه حتى قدمت على حي من عك، فاستغاثتهم عليه فأوثقوه رباطا.. وأدركت عكرمة وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر، فجعل نوتي(ملاح) السفينة يقول له: أخلص! فقال: أي شيء أقول؟، قال: قل لا إله إلا الله.

قال عكرمة: ما هربت إلا من هذا.. فجاءت أم حكيم على هذا الكلام، فجعلت تلح عليه وتقول: يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك.. فوقف لها حتى أدركته فقالت: إني قد استأمنت لك محمدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمنك فرجع معها، وقال: ما لقيت من غلامك الرومي؟ فخبرته خبره فقتله عكرمة، وهو يومئذ لم يسلم.. "

ويكمل عبد الله بن الزبير القصة فيقول: ".. وجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها، فتأبى عليه وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة، فيقول: إن أمرا منعك مني لأمر كبير..

ثم دخل عكرمة المدينة ووفد على رسول الله فقال له: " مرحباً بالراكب المهاجر" وبايعه على الاسلام، وشهد معه معركة حنين والطائف وشهد حجة الوداع.

بعد وفاة رسول الله كان لعكرمة في قتال المرتدين أثر عظيم فقد استعمله أبو بكر على جيش وسيره إلى أهل عمان وكانوا قد امتنعوا عن دفع الزكاة وظهر عليهم عكرمة، ثم وجهه أبو بكر أيضاً إلى اليمن فلما فرغ من قتال أهل الردة سار إلى الشام مجاهداً أيام أبي بكر مع جيوش المسلمين، فلما عسكروا بالجرف على ميلين من المدينة واستقبله أبو بكر وسلم عليه وعرض عليه المعونة فقال لا حاجة لي فيها فدعا له بخير وسار إلى الشام.

.....

كتيبة الموت

معركة اليرموك، وقعت عام ١٥ هـ (٦٣٦) بين المسلمين والروم، ويعتبرها بعض المؤرخين من أهم المعارك في تاريخ العالم لأنها كانت بداية أول موجة انتصارات للمسلمين خارج جزيرة العرب، وآذنت لتقدم الإسلام السريع في بلاد الشام. وتولي قيادة المعركة خالد بن الوليد.

كان الروم ٢٤٠ ألف مقاتل مدججين بكل أنواع الأسلحة، وكان جيش المسلمين ٣٦ ألف مقاتل مسلم فقط، ورغم ذلك صمد الجيش وقاتل قتالًا مريرًا خلال الثلاث أيام الأولى.

وكان خالد بن الوليد قد قسم الجيش إلى ميمنة بقيادة عمرو بن العاص، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان وفي القلب أبو عبيدة بن الجراح والخيالة يقودها خالد بن الوليد، وهي القوة التي تتحرك بسرعة لترجح كافة أي منهم في وقت الحاجة لها، وكان بين القلب والميسرة عكرمة بن أبي جهل، هكذا كان شكل جيش المسلمين يوم اليرموك.

ودار القتال العنيف يومها وانكشفت ميسرة الجيش الإسلامي، وظهرت بوادر الهزيمة من تلك الناحية وأيضًا كان الضغط يزداد على القلب، وهذا جعل خالد وكتيبة الخيالة تساندهم لأن القلب هو محور المعركة كلها ولو سقط لانهزم الجيش كله، فقاتل سيدنا خالد بالقلب مع كتيبة الخيالة قتالًا شديداً، ولم يكن يستطيع أن يترك القلب بجنوده لينقذ الميسرة.

وهنا انطلق الفارس المغوار عكرمة بن أبي جهل وقرر أن يقتحم صفوف الروم، فنادى عليه سيدنا خالد بن الوليد لا تفعل يا عكرمة فإن قتلت سيكون هذا شديداً على المسلمين.

فقال عكرمة: (إليك عني يا خالد فلقد كان لك مع الرسول ﷺ سابقة، أما أنا وأبي فلقد كنا أشد الناس على الرسول فدعني أكفر عما سلف مني).

وقال أيضًا: (يا خالد لقد قاتلت مع الرسول ﷺ في مواطن كثيرة وأفر اليوم من الروم، هذا لن يكون أبداً)، ثم نادى في المسلمين يقول: (من يبايعني على الموت؟)

فبايعه ابنه وضرار بن الأزور وعمه الحارس بن هشام حتى وصل بهم العدد إلى ٤٠٠ من المسلمين قرروا أن يكونوا كتيبة الموت.

وقاتل عكرمة ومن معه قتال الأسود ولم يتزحزحوا حتى هزموهم، ولك أن تتخيل ٤٠٠ فارس مسلم يقتلون الآلاف المؤلفة من الروم يقتلونهم يميناً ويساراً ولا يبالون بالموت أبداً، ولم يكتفوا بذلك بل بعد دحرهم لجيش الروم قرر عكرمة وكتيبته الانتحارية الهجوم على جيش الروم واقتحام صفوفهم المتراصة الكثيفة، وقاتلوا قتالًا شديداً حتى قتلوا الآلاف من الروم.

وفي نهاية اليوم قام خالد بتفقد القتلى والجرحى من المسلمين، فإذا بعكرمة جريحاً فقام خالد بوضع رأسه على فخذه وأخذ يمسح على وجهه ويقطر الماء في حلقه، حتى قضي نحبه.

وقد وجدوا فيه بضعاً وسبعين، من بين ضربة وطعنة ورمية. وقد برّ عكرمة بما قطعه للرسول من عهد، فما خاض المسلمون معركة بعد إسلامه، إلا وخاضها معهم، ولا خرجوا في بعث إلا كان في طليعتهم.

فقال خالد (هنيئاً لك الشهادة، قل للقاصي والداني أن بني مخزوم لا يموتون إلا شهداء على أسنة السيوف والرماح).

وقرر خالد بن الوليد بعدها أن يهزم الروم شر هزيمة فوضع خطة محكمة لهزيمة الروم، حيث عزل خيالة الروم عن جيشهم وأصبح المشاة بلا حماية، وهكذا استطاع أن يحقق النصر.

كانت معركة اليرموك من أعظم المعارك الإسلامية، وأبعدها أثرا في حركة الفتح الإسلامي، فقد لقي جيش الروم (أقوى جيوش العالم يومئذ) هزيمة قاسية، وفقد زهرة جنده، وقد أدرك هرقل الذي كان في حمص حجم الكارثة التي حلت به وبدولته، فغادر سوريا نهائيا، وقد ترتب على هذا النصر العظيم أن استقر المسلمون في بلاد الشام، واستكملوا فتح مدنه جميعا، ثم واصلوا مسيرة الفتح إلى الشمال الإفريقي.

المصادر

السيرة النبوية /ابن هشام.

سير أعلام النبلاء / الذهبي.

الكامل في التاريخ / ابن اثير.

صور من حياة الصحابة / عبد الرحمن رأفت الباشا.